سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ ﴾

سَأَلَ سَائِلٌ: دعا داع على نفسه وقومه .

ذِي المَعَارِجِ: ذي السموات مصاعد الملائكة.

تَعْرُجُ المَلائِكَةُ: تصعد في تلك المعارج.

وَالرُّوحُ: جبريل عليه السلام .

فِي يَوْمٍ: هو يوم القيامة.

مِقْدَارُهُ: في حق الكفار.

صَبْراً جَمِيلاً: لا شكوى فيه لغيره.

السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ: كالمعدن المذاب أو دُرْدِيِّ الزيت.

الجِبَالُ كَالْعِهْنِ: كالصوف المصبوغ ألوانا.

حَمِيمٌ: قريب مشفق لشدة الهول.

يُبَصَّرُونَهُمْ: يعرف الأحماء أحماءهم.

وَفَصِيلَتِهِ: عشيرته الأقربين المنفصل عنهم.

تُؤْوِيهِ: تضمه في النسب. أو عند الشدة.

إن مشاهد القيامة لا يمكن وصفها على نحوٍ حقيقي في عالمنا الراهن ، وإنما تناولها القرآن بالتقريب من خلال الإشارة أوْ التصوير أوْ التمثيل في مواضع منه شتى، لكيما يتمكن الإنسان من استشعارها على وجه الإجمال ، والقيامة إذا قامت فإنها ستكون رهيبة مروعة لدرجة أن المرء يذهل عندئذٍ عن أقاربه ومصالحه، تلك التي هو يعتبرها اليوم من الأهمية بحيث يهمل من أجلها أمر الحق ولا يكاد يلقى إليه بالاً !!

﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

إِنَّهَا لَظَى: جهنم، أو الدركة الثانية منها.

نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى: قاَّعَة للأطراف أو جلد الرأس.

فَأَوْعَى: أمسك ماله في وعاء بخلا.

جَزُوعاً: كثير الجزع والأسى.

مَنُوعاً: كثير المنع والإمساك.

وَالْمَحْرُومِ: من العطاء لتعففه عن السؤال.

مُّشْفِقُونَ: خائفون استعظاما لله تعالى.

العَادُونَ: المجاوزون الحلال إلى الحرام.

بينت هذه الآيات باختصارٍ صفات كلا النوعين من البشر؛ حيث عرّفت الذين سيُعتبرون أهلا لدخول الجنة، إلى جانب وصف أولئك الذين سيصبح ما قدمت أيديهم من سوء الأعمال سبباً في دفعهم إلى نار جهنم يوم القيامة .

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

مُهْطِعِينَ: مسرعين مادي أعناقهم إليك.

عِزِينَ: جماعات متفرقين.

مِّمَّا يَعْلَمُونَ: من نطف مهينة مذرة.

إن الذين يقومون على غير الحق يرون في الدعوة الصريحة إلى الحق الخالق زوال سيادتهم واعتبارهم ، مما يجعلهم يسعون وراء إحباط دعوة كهذه واقتلاع جذورها

بكل ما يملكون من حول وطولٍ، وتصرفاتهم اللاعقلانية هذه تحدو بهم شيئاً فشيئاً إلى الجحيم، ولكنهم يحسبون - بناءً على آمالهم الزائفة - أنهم يواصلون رحلتهم السريعة نحو جنات النعيم !!

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

فَلاَ أُقْسِمُ: أقسم و"لا" مزيدة.

بِمَسْبُوقِينَ: مغلوبين عاجزين.

فَذَرْهُمْ: فدعهم وخلهم غير مكترث بهم.

يَخُوضُوا: ينغمسوا في باطلهم.

الأَجْدَاثِ: من القبور.

سِرَاعاً: مسرعين إلى الداعي.

نُصُبٍ: أحجار عظموها في الجاهلية.

يُوفِضُونَ: يسرعون.

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ: ذليلة منكسرة لا يرفعونها.

تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ: تغشاهم مهانة شديدة.

إن تعدد مشارق الأرض ومغاربها من حين لآخر يرجع إلى خصوصية فذة من

خصائص الأرض، وهي ما يُعرف بالميل المحوري، والذي يتسبب في حدوث الفصول المختلفة على مدار السنة، ولولا ميل الكرة الأرضية هذا بالنسبة إلى الشمس، لكانت الأرض أقل فائدةً بكثيرٍ مما هي عليه الآن ، فبفضل هذا الميل المحوري قد صارت الأرض لنا نحن البشر مصدر خيرات لا تحصى ومنافع لا توصف ، والعالم الذي يشهد مثالاً لتحويل الأقل نفعاً إلى الأكثر نفعاً كما ذكرنا آنفاً، ليس من المستبعد أيضاً أن تحدث فيه وقائع أخرى مماثلة ، وأما الذين لا يتَّعظون، رغم هذه الآيات الصارخة، فإنهم - ولا ريب - أناس يفتقرون إلى الجدية، وقلما يتعظ المفتقرون إلى الجدية أوْ يعتبرون، اللهم إلا إذا كانوا قد أرغموا على ذلك إرغاماً !